

# الفنان التشكيلي الياس زيات .. تراث سبق الأوروبيين بالحدأة

طلابه كأب حنون يريد ان يعطي ما لديه من علم ومعرفة مع الحفاظ على ذلك الوقار والكبرياء فتعلمت منه الكثير من التقنيات في مادة التصوير الزيتي والرسم عندما كنت في كلية الفنون الجميلة في نهاية السبعينيات. الياس زيات رائد من رواد الفن السوري المعاصر ومن الفنانين الأوائل الذين استطاعوا أن يبتكروا لأنفسهم مكانة فنية خاصة معتمدين على موهبتهم وتاريخهم الحضاري الغني بتراته الفني العريق، طامحين إلى تأسيس بداية حقيقية للتشكيل السوري، حيث انطلق الزيات في أعماله إلى تصوير العالم بكل هواجسه وهمومه وأحلامه بأسلوب تعبيري رمزي عال، تمكن من أدواته بحرفية نتجت عن تجارب فنية وأبحاث ودراسات، استمدتها من ثقافة أدبية وموسيقية أبدع منها عوالم كان لها تأثير كبير في تحولات تشكيلية أبدعها الزيات واعتمدها العديد من الفنانين الكبار بعد ذلك ، وقد اهتم الفنان التشكيلي الزيات بالأيقونة وتحولات اللون، رسم مريم الجدلية ومحيي الدين بن عربي..... ويقول الفنان زيات (في الخمسينيات زارنا الفنان المرحوم (ميشيل كرشة) وقد اطلع آنذاك على ما رسمت وأذكر أنه قام برسم ارض الديار وقال لوالدي (اشتر له علبة ألوان) وأنا سأقوم بتعليمه كيف يرسم، وبالفعل بدأ يعلمني مبادئ الرسم منذ عام 1952-1955 وكنت ارسم يومها بقلم رصاص والقليل من الألوان المائية ومن ثم تعرفت على الألوان الزيتية من خلال المرحوم ميشيل ، وفي سنة 55 أعلنوا عن مسابقة في وزارة المعارف لدراسة الرسم فلم يكن لدينا فنون، نجحت وذهبت إلى بلغاريا وهناك بدأت أدرس الفن التشكيلي وهكذا... ويتابع الفنان الزيات في فترة الخمسينيات والستينيات والسبعينيات كان الناس والفنانون يحبون تصوير الأشياء كما هي بمعنى تصوير (رجل أو حارة أو بحيرة ماء)، وهذا الجو ينتمي إلى المفهوم الواقعي أي تصوير الأشياء كما تراها العين وهنا أود أن أشير أن هذا الواقعي أي الفن العالمي مرّ به عصر النهضة الأوروبي وهذا العصر كان يتشاطر ويتفاخر بالصورة أي إظهار الرجل كما هو، والسبب في ذلك أن الأدب والشكل النحتي (الإغريق والرومان) كان مؤثراً على الفن، وبعد النهضة بدأنا نسير في هذا المدى الواقعي ، وفي فترة الستينيات والسبعينيات كنا قد عدنا من أوروبا وكنا متشربين من الحدأة الأوروبية ولذلك قررنا أن نقوم بالحدأة في بلدنا، لاسيما أننا وجدنا أن تراثنا قد سبق الأوروبيين بالحدأة فلماذا لا نتبنى فنوننا القديمة، ومن خلالها نقوم بمعاصرة عربية سورية، فاكشفنا أنه لدينا شيء اسمه الخط العربي، ولدينا رسم معبر عن أشخاص رُسم في الفترة الأموية على جدار القصور وهو رسم جميل جدا جداً، أنا شخصياً عدت إلى تدمر ورأيت كيف كان النحات التدمري يعالج الشكل في الفترة الرومانية أي في القرن الثالث الميلادي، ووجدت أن الأشكال التدمرية لو وضعناها أمام الأشكال الرومانية سنجد أن هناك فرقاً، بمعنى أضاف من مخزونه فكان فناً متميزاً جداً... . وقد رسخ الكثير من هذا الفن ، وهنا تطور من الشكل الواقعي إلى الشكل التعبيري إلى الرومانسي، الى الفنون المعاصرة والتصوير المسرحي التشكيلي وعن ذلك يتابع القول ( انا لم أختار المسرح، بل إن لوحتي ظهر بها المسرح فهي تضمنت تمثيلاً وقصة وإخراجاً، وإخراجاً اللوحة علم قائم بذاته وخصوصاً في الفكر المعاصر فالمنظرون عددهم كبير الذين كتبوا كيف تُخرج لوحة معاصرة وهذا قد علمته في الجامعة، وهذا كله قمت بتصويره

إخراجياً في لوحتي) . وعن رسم الأيقونة والبحث في تاريخها يقول الفنان الزيات (نعم بحثت في تاريخ الأيقونة فموضوع الأيقونة تعرفت عليه من خلال دراستي لتاريخ الفن، ولكن جذورها المحلية السورية تعود إلى تدمير ومصر في القرن الثالث والرابع قبل الميلاد مع بعض الاختلافات بين المكانين، لقد كان هناك تلاحم وتمازج بين فنون المنطقة، وكان من الصعب الفصل تماماً مع تبادل التأثير، لقد وجدت حجر الأيقونة في جداريات دورا أوروبوس، وقد استهوتني هذه الطريقة في التعبير وأحببت أن أرسم أيقونة تنطلق من هنا، لكن الناس لم تعجب بتلك الطريقة في الرسم، ثم انكفأت عن الرسم بهذه الطريقة، عندما تقول فكر الأيقونة وفكر الأسطورة وفكر جبران فمن هذا الثالوث تنبع طريقتي في الرسم، وجبران قام بهذا أيضاً في كتاب النبي ، فجبران بالإضافة لكونه طرح أفكاراً مثالية، طرح فكره عن العمل بطريقة اشتراكية وبفهم للرأسمالية، أما أيقونتي فهي تأتي من هنا، ولقد رسمت المدينة المصلوبة، ففي فترة الثمانينيات كنا متحمسين جدا للقضية الفلسطينية وبالتالي رسمت عدة لوحات عن المدينة المصلوبة لكن مدى تقبل الناس لهذه الطريقة هو ما توقفت عنده). ومن تاريخ الفنان التشكيلي الياس زيات وتعمقه بالفن وتقنياته وادواته ومشروعه الفني يتابع (سورية غنية بالفن، وفي تاريخ الفن السوري نرى مفهوم الفن في حياة الناس، لا في لوحة معلقة على جدار، كانت الأقمشة مليئة بالفن كذلك الحدادة والنجارة، ففي البيوت الغنية كان موجوداً الفن الغني، وفي البيوت الفقيرة أيضاً وجد الفن «على قد الحال» يتجلى في أدوات المطبخ النحاسية وأطباق القش وغيره، وفي تاريخنا وتراثنا لم نفرق بين فن أشياء للاستعمال وبين فن جميل في لوحة، وأتمنى من الجيل الجديد أن يستمد من الفنون الشعبية ويستوحي منها، وهذا جزء من رسالتي.. فاتح المدرس رحمه الله أنتج فنا جذوره من هذه الأرض نحن هكذا نفهم، عندما عرض هذا الفن في أوروبا انبهروا به وقدروه كثيراً على أساس أنه فن بدائي، هذا الكلام مرفوض لأن فاتح المدرس ينتج فنا متجذرا له علاقة بالتراث والتاريخ، الآن يوجد من يشرح فاتح المدرس على أساس صحيح هنا وفي الخارج ووضحت قيمته كفنان مهم).

وعن أعماله يتابع ( أنا فهمت فكر التطور لكن باعتباري متمكناً من التقنيات القديمة قمت بتطوير التقنية القديمة بدراسة، وطبقت المفاهيم التقنية القديمة وهي كيفية استخدام المواد والتقنيات مع بعضها وقدمت رؤية جديدة هي «أنا» ولست ملتزماً بالواقعي ولا التجريدي ولا التعبيري ، استخدم الزيتي كتوشيح للمائي والاكريليك، واعتمد الطبقات أحيانا، وأحد بؤر اللوحة ببعض الخطوط كدليل للمتلقي، وتبقى الخلفية أكثر حرية، وبالخبرة أمزج الخلفية دعينا نسماها التجريدية مجازاً مع هذه العناصر الواقعية، وهذا أيضاً يعتمد على المعرفة، وعن موقعي الفني التشكيلي لقد أصبح الفنان مسيراً، بمعنى صار الفنانون يرسمون على ذوق التاجر، هنا تكمن المشكلة بل وتفاقت في الأونة الأخيرة، وستعود ويكون لها ضوابط، مع أنها جيدة في بعض النواحي، المشكلة أن الجهات المعنية بالحركة التشكيلية (النقابة والوزارة والكلية) لاتقوم بدورها، المفروض أن يضعوا مفهوماً وليس توجيهاً للفن، توجيه الفن بطلت موضته، المفروض أن نرسل بعثات لدراسة النقد وعن تصنيفي في تطوير الاتجاهات التشكيلية العربية والعلمية ، لا نستطيع وصفه لأنه يحتاج إلى بحث وتدقيق وإحصاء، ولكن له ملامح فالفن لا يعتمد على علم رياضي أوفيزيائي، الفنان ينطلق من بيئته ومجتمعه وثقافته وتاريخه، وهناك شيء مشترك بين الفنانين في البلدان المجاورة لسورية، لنقل في المشرق العربي، وأتمنى أن يأتي من ينقل ملامح هذا الفن للخارج حتى لا يتحكم بنا الغرب عندما يقال: هذا الفنان جيد لأنه يشبه فنانينا، وذلك فنان مرفوض لأنه قادم من منطقة بدائية). وعن النشاطات التي قام بها الفنان الياس زيات فقد شارك في تأسيس كلية الفنون الجميلة في جامعة دمشق وقام

بالتدريس فيها منذ تلك السنة، وحصل على رتبة أستاذ منذ عام 1980 و شغل منصب رئيس قسم الفنون ووكيل الكلية للشؤون العلمية أثناء عمله في الكلية، ألف كتاباً (تقنية التصوير ومواده) لصالح طلاب الكلية وصدرت الطبعة الأولى من جامعة دمشق عام 1981-1982. وقد تولي مهمة الإشراف العلمي والفني على معرض وندوة (الأيقونة السورية) اللتين أقيمتا عام 1987 وكنتم مفوضاً للمعرض ومقررراً لجلسات الندوة في تلك التظاهرة، كما مثل جامعة دمشق في اتفاقية التعاون مع جامعة لايدن لدراسة الفن في سورية في الحقتين البيزنطية والإسلامية وذلك لمدة أربع سنوات ونتيجة ذلك صدر كتاب في لايدن 2000 باللغتين العربية والانكليزية وعملت خبيراً في هيئة الموسوعة العربية في سورية لتحقيق موضوعات العمارة والفنون منذ عام 1995-2001 وكان عضواً في مجلس إدارة احتفالية دمشق عاصمة الثقافة العربية عام 2008 كمسؤول عن معارض الفن التشكيلي...الخ. الفنان زيات رسام ومصور يدوي وباحث في الفن التشكيلي ولد في دمشق عام 1935 في حارة الجوانية حي باب توما وقد أتم دراسته الثانوية (الفرع العلمي) في المدرسة الأرثوذكسية في دمشق عام 1954 تابع دراسة الرياضيات في شهادة «رف» في الجامعة السورية في دمشق في عام 1954-1955 وتعلم في أكاديمية الفنون الجميلة في صوفيا موفداً من الحكومة السورية وتعمق في دراسة تاريخ الفن، ثم تابع في كلية الفنون في القاهرة على يد عبد العزيز درويش بين سنتي 1960-1961 و تدرّب على ترميم اللوحات الفنية في أكاديمية الفنون الجميلة في بودابست، كما قام بدراسات على كيمياء الألوان وتحليل المواد في متحف الفنون التطبيقية في بودابست وقد شارك في العديد من المعارض المحلية والعربية.